مجلة آفاق سينمائية | المجلد 07 والعدد 02 | السنة: 2020 | ص – ص : 74–92

التجـربة السيـنمائية النسـويّة في الجزائــر
– قراءة في الأشكال والمضامين–
Algerian Feminist Cinema
Forms and Contents

د. رحموني لبنى[1]*، د. علاق أمينة[2]

[1] جامعة أم البواقي، الجزائر، Rahmouni.loubna@univ-oeb.dz

[2] جامعة أم البواقي، الجزائر، allagamina04@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/04/06 تاريخ القبول: 2020/06/21 تاريخ النشر: 2020/12/15

ملخص:

منذ سنوات السبعينيات، اقتحمت المرأة عالم الإخراج السينمائي في الجزائر بفضل عدد من السينمائيات الجزائريات استطعنا اليوم أن نرى الموجة الجديدة من المخرجات سواء في مجال الأفلام الروائية أو الوثائقية، ولكن رغم ذلك يجب التأكيد على أن حضور المرأة بصفة عامة في القطاع السينمائي يعتبر متواضعا، إذ يبدأ العدد عادة مرتفعا نوعا ما عند إنتاج الفيلم الأول لكل مخرجة، ثم يتناقص عند الفيلم الثاني، أما الفيلم الثالث فقليلات هن اللواتي واصلن الإخراج فيه.

كلمات مفتاحية: السينما، السينما النسوية، المخرجات الجزائريات

Abstract:

Scince the 1970s, women have entered the world of film making (cinematography) in Algeria thanks to a number of Algerian women filmmakers. Today we were able to see the new wave of female directors, both in the field of feature films and documentaries, but it must be emphasized that the presence of women in general in the sector The film is considered modest, as the number usually starts fairly high when the first film is produced for each female director, then decreases at the second film, while the third film is a few who continued the production in it.

Key words: cinema, feminist cinema, Algerian directors.

* د. رحموني لبنى Rahmouni.loubna@univ-oeb.dz

1. مقدمة:

لا يختلف إثنان في التأكيد على أهمية السّينما كوسيط ثقافي أكثر منه تقني في التعبير عن واقع المجتمعات و الشعوب والأفراد ونقل التجارب الإنسانية، و توصيف الحياة البشرية، وتجسيد بعض من وقائع الحياة اليومية للأفراد ،على اختلاف النوع والسن، والمستويات الفكرية و الاهتمامات و التوجهات الإيديولوجية، كما لا يمكن أن يختلف إثنان أيضاً على أنّ الفيلم السّينمائي بإمكانه أن يشكل واقعاً موازياً، يمكن توظيفه في التعبير عن الهوية في معانيها البسيطة و المعقّدة ، سواء تعلق الأمر بهوية الفرد أو المجتمع أو القوميات.

لقد استطاع الفن السابع منذ أن تم إخراج أولى الأفلام بفضل الإخوة "لوميير" نهاية القرن التاسع عشر، أن يحتل مكانة هامة بين وسائل الاتصال الجماهيرية، ساعده في ذلك الميزات التي تتمتع بها السينما مقارنة بالوسائط الأخرى كالاعتماد على الحركة و الصورة والصوت، واستخدام تقنيات و أساليب التكبير و التصغير، و تنوع اللّقطات حجماً و زاوية، فضلا عن متعة المشاهدة الجماعية التي تجعل من عملية التأثير أقوى و أبلغ، كلّ هذه الخصائص والإمكانات التي تمتلكها السّينما جعلتها تنتشر بسرعة في بلدان العالم خاصة في الدّول التي استعمرتها فرنسا، ففي الجزائر مثلا، ظهر الفن السّينمائي في السّنوات الأولى التي تزامنت مع ظهوره سنة **1895** بفرنسا، حيث وظفت شركة الإخوة لوميير بعضاً من قناصي الصّور، و منهم فيليكس مزغيش ***Filix Mesghich*** ،الذي أوكلت له مهمة تصوير مشاهد حية عن واقع الحياة في الجزائر[1].

ومنذ ذلك الحين بدأت محاولات جادة في خلق سينما جزائرية، لم يتمكن روادها من تجسيد فعليّا إلاّ بعد أن تبنت جبهة التحرير الوطني المبادرة بإنشاء مدرسة السّينما التي كلف "رونيه فوتييه" ***René Vautier***، وهو المناضل الفرنسي في صفوف الجبهة بإدارته، لقد كانت **1987**، سنة ميلاد حقيقي لتجربة سينمائية رائدة إذا ما قورنت بالتجارب السينمائية في

الوطن العربي، حيث أنها السّينما الوحيدة بينها وحتى على المستوى الإفريقي التي تمكنت من نيل السعفة الذهبية في مهرجان كان الدولي **1975** بفضل فيلم "وقائع سنين الجمر" للمخرج "محمد لخضر حامينة" مما جعل من الفيلم الجزائري محطّ إعجاب عالمي، بفضل المخرجين الذّين ساهموا في خلق صورة حسنة عن هذا الفن في بلادنا، حيث يزخر تاريخ السّينما الجزائرية بمخرجين وصل بعضهم إلى مصاف العالمية، وبأفلام محلية وأخرى ذات إنتاج مشترك سجّلت نفسها كأيقونات في عالم الإنتاج المحلي، العربي، الإفريقي والعالمي .

وسط الإنتاج المتنوّع و الثّري للسّينما الجزائرية تبرز السّينما النّسوية، وهي تختلف مقصوداً و معنى عن سينما المرأة، فالسّينما النّسوية تشير إلى السّينما التي تصنعها المرأة رواية وإخراجاً أو إخراجاً فقط و تقدّمها في الغالب عن مواضيع تخص المرأة لكنها توجّه إلى جمهور أعم، بينما تركّز سينما المرأة على موضوع المرأة كمحور عام بغض النظر عن مخرجها رجلا كان أو امرأة[2]، و قد ظهر مصطلح السّينما النّسوية بداية من عشرينيات القرن الماضي حين ظهرت أولى المخرجات السّينمائيات و تزامناً مع اقتحام المرأة لمجال الكاميرا والإخراج[3].

غير أنّ الجزائر لم تشهد ولوج المرأة عالم السّينما كمخرجة إلاّ نهاية السبعينات وبداية الثّمانينات، من خلال المخرجة السّينمائية والكاتبة الرّوائية "آسيا جبار" التي دشّنت هذه التجربة من خلال فيلمها: نوبة نساء جبل شنوة **(1978)**، وفيلم "زردة" ***أو Les chants de l'oubli*** **(1982)**.

يحاول هذا المقال إذن ومن خلال ما سبق، الوقوف على واقع التجربة السّينمائية النّسوية في الجزائر من خلال:

1. بيان واقع السّينما النّسوية في الجزائر مقارنة بمثيلاتها خاصة في العالم العربي وإفريقيا.

2. الوقوف على المشكلات التي تواجه السّينما النّسوية الجزائرية.
3. عرض مفصل لعدد من المخرجات السّينمائيات الجزائريات من خلال أشهر أفلامهن و تقديم قراءة في شكل ومضمون هذه الأفلام.

2. السّينما النّسوية عبر العالم:

بدأت المرأة ولوج عالم السّينما منذ عشرينيات القرن الماضي ، لكنّها لم تحظ بما حظي به الرّجل من فعاليّة و تواجد على السّاحة، و بغضّ النظر عن تاريخ أولى السينمائيات في العالم، فإنّ الإحصائيات اليوم تشير إلى أنّه من بين **20.000** مخرج سينمائي في العالم هناك **600** امرأة فقط، حسب ما أكده الناقد و الباحث في المجال السّينمائي محمّد بجاوي[4]، في حين تشير دراسات أخرى إلى أنّه و في بريطانيا مثلا من بين **62** فيلما تم إخراجه سنة **2007**، هناك أربعة أفلام فقط أحرجتها النّساء، ما يشكّلن نسبة **6.5%** ، و لم تكتب المرأة من هذه الأفلام إلاّ ثمانية (12.9%) من الإجمالي، و في دراسة أخرى أجريت في الولايات المتحدة الأمريكية سنة **2006**، تظهر ال**7%** من مجموع **250** فيلماً الأكثر شهرة هي لنساء، و أنّ **10%** من بين كتاب هذه الأفلام كنّ نساء، وقد انخفضت هذه النسبة سنة **2006** إلى **6** بالمئة فقط من المخرجات[5] ذات الدّراسات قد أثبتت أنّ الأفلام التّي كتبت من قبل المرأة في المملكة المتّحدة قد حققت أرباحاً أكثر من تلك الأفلام التّي كتبها الرّجال[6].

لا يختلف الأمر كثيراً في فرنسا، التي لم تعرف تطوراً يمكن الاعتداد به في مجال الإخراج السّينمائي النّسوي إلاّ في السّنوات الأخيرة، التي بدأت تشهد تزايد دخول المرأة إلى الحقل الفيلمي كتابة و إخراجاً[7]، في حين أشار تقرير أعده مركز ***The Uk film Council*** الذي تم إعداده سنة **2008** في بريطانيا حول السينما في المملكة المتحدة، إلى أن 13**%** فقط من كتاب السيناريو في هذا البلد هن نساء، و في حين يشكلن 7**%** من مجموع المخرجين، رغم أن جمهور النساء هو الأكثر استهدافا من قبل السينمائيين، بل حتى إن قاعات السينما

كانت تضج في الغالب بالمشاهدات أكثر من المشاهدين الذكور، و الأهم من ذلك أن هؤلاء المخرجات و منهن ***Gurinda Chadha*** ، ***Christine Edzard***،***Sally Potter***، قد نجحن في تحقيق نسب مشاهدة جد عالية[8]

أما عن واقع التجربة النسوية عربيا، فيمكن الإشارة إلى تجربتين في هذا السياق الأولى تعتبر الأهم وهي التجربة المصرية حيث تعتبر مصر أسبق بلد عربي ظهرت به نساء منتجات ومخرجات منذ نهاية العشرينات وبداية الثلاثينات " **:إحسان صبري، أمينة محمد، بهيجة حافظ، عزيزة أمير ،فاطمة رشدي، نادية حمزة، نادية سالم، الدغيدي، أسماء البكري، نعمات رشدي، ساندرا نشأت، وكاملة أبو ذكرى.**

أما التجربة النسوية العربية الثانية هنا، فهي التجربة السورية حيث تجدر الاشارة الى أن تاريخ السينما النسوية في سوريا ليس قديما، فلم تخض المرأة السورية مجال الإخراج إلا بعد تألقها كفنانة وممثله وبعد تجارب سابقة في مجال الإخراج التلفزيوني إذ تبرز على الساحة بعض الممثلات الشهيرات واللائي حققن نجاحا كبيرا على الساحة العربية التلفزيونية على وجه الأخص، ومن بين أشهرهن نجد: **واحة الراهب، رشا شربتجي، وإيناس حقي**

أمّا في إفريقيا على وجه العموم، فإنّ مشكل ممارسة المرأة للمهن الإعلامية عموما، والسينمائية على وجه التحديد، أمر مطروح بحدّة، شأنه في ذلك شأن بعض المهن الأخرى التي تبقى حكراً على الرّجل، حتّى و إن نجحت فيها بعض النّساء والأمر يختلف في حدّته بين الدول الواقعة في الشمال الإفريقي، و بين الدول الجنوبية و هو سيّء – بالوصف الدقيق – إجمالاً[9] ،ولم تبرز و لسنوات طويلة في إفريقيا كما في بلدان المغرب العربي امرأة في المجال السّينمائي على مستوى الإخراج ،إلاّ بعد أن حقّقت السنغالية صافي فاي (***Safi faye***) نجاحاً لافتاً باعتبارها واحدة من رواد السّينما الإفريقية من النّساء من خلال فيلمها

Lettre Paysane (1975)[10] ،و قبلها اشتهرت ***Sarah Maldoror*** من خلال فيلمها ***Sambizanga*** سنة (***1972***)[11].

تعتبر الجزائرية آسيا جبار من رائدات السّينما في القارة الإفريقية، حيث نجحت في صناعة اتجاه سينمائي يضج بالصرخة النّسائية، الطامحة إلى التحرر و التخلص من العبودية و هو نفس ما فعلته ***M'mbingu*** ،في فيلمها عن المرأة المهاجرة (الموزمبيق) في فيلمها ***These hand***[12].

ولسنوات طويلة كذلك ظلّت آسيا جبّار و فاي، و غيرهن من المخرجات الإفريقيات وحيدات ومعزولات في عالم الإخراج السّينمائي الذّي يمكن اعتباره ذكوريا بامتياز، و قد عانين من صعوبات جمّة في هذا المجال، خاصّة أمام رفض العديد من المنتجين تمويل أفلامهنّ.

في المغرب ووفق أحدث الإحصائيات، تظل مكانة المرأة في الإخراج السّينمائي جدّ متواضعة، فمن مجموع **195**فيلماً أنتجها المركز السّينمائي المغربي **(CCM)** ،هناك فقط **15** فيلماً نسوياً،**14** منها روائية، قامت بإخراجها ثمانية مخرجات مغربيّات حيث أخرجت فريدة بليزيد 4 أفلام، في حين أخرجت كل من فريدة بورقيعة، نرجس نجار وزكية طاهري فيلمين اثنين[13].

أمّا في تونس فالأمر جيّد نوعاً ما إذا ما قورن بواقع السّينما النّسوية في المغرب و في الجزائر كذلك، و بخصوص المخرجات التّونسيّات، فيمكننا الحديث عن مخرجات ناشطات في مجال الأفلام الروائية منهن: **سلمى بكار، نادية الغالي، رجاء عماري، مفيدة تلاتلي ...**

3. واقع السّينما النّسوية في الجزائر :

تجسّدت أولى التّجارب النّسوية في الإخراج السّينمائي الجزائري في المجال الروائي من خلال الأفلام التّي صوّرتها الرّوائية والمخرجة **آسيا جبّار**، بداية من فيلمها نوبة نساء جبل

شنوة (1978) ، وزردة (1982) ، رغم أنّ الهيمنة على هذا القطاع كانت و لازالت لحد اليوم رجولية ،حيث سيطر المخرجون الرّجال في مجال كتابة و إنتاج و إخراج الأفلام على اختلافها في الجزائر .

و لم يكن هناك من مجال يسمح ببروز المرأة في مجال الإخراج أكثر من الإذاعة والتّلفزيون **RTA** التي سمحت لبعض المخرجات بإخراج أفلام 16 ملم[14] ،عدا ذلك كان لزاماً الانتظار حتى تتمكن **جبّار** من إخراج أفلامها السّابقة الذّكر، الأوّل الذّي يجمع بين النمطين الرّوائي و الوثائقي، و الثّاني وثائقي، و من بين عشرة مخرجات للأفلام الرّوائية في الجزائر، نجد أن تسعة منهنّ قمن بإخراج فيلم واحد فقط طوال مسيرتهنّ و نقصد هنا الفيلم من نوع الأفلام الرّوائية الطّويلة ،سبعة منهنّ ولدن بالجزائر ،وثلاثة بفرنسا ،أمّا اليوم فتعمل اثنين منهما فقط بالجزائر، و سبعة في فرنسا و واحدة بالولايات المتحدة الأمريكية ،وبعضهنّ فقط تمّ تكوينهنّ على مستوى الجزائر (على غرار يمينة بشير شويخ) ،في حين تلقّى أغلبهنّ تكويناً في فرنسا خاصّة في مجال الأدب و الفن على غرار **آسيا جبّار**[15].

ممّا يلاحظ على المخرجات الجزائريّات أنّهن لا يحترفن الإخراج كمهنة أولى وأساسية، بل إنّ أغلبهنّ يعملن في ميادين أخرى كالتّدريس الجامعي،الكتابة ،الرّسم و الإخراج التّلفزيوني خاصّة في فرنسا[16].

ويمكن أن نذكر ضمن قائمة المخرجات الجزائريات في المجال السّينمائي ،المخرجة **حفصي كوديل** من خلال فيلمها "**الشيطان في المؤنث**" **(1992)** ،الذّي تطرّقت فيه للطّابوهات في المجتمع الجزائري، كما نذكر يمينة بشير شويخ، الّتي عملت في بداية حياتها المهنيّة كمساعدة في إنتاج الأفلام الوثائقيّة و كذا في المونتاج مع مخرجين أمثال: عبد القادر لقّاط، أحمد راشدي، محمّد شويخ (زوجها) ،كما قامت بكتابة سيناريوهات عدّة، منها سيناريو فيلم "عمر قاتلاتو" لمرزاق علواش ،و كذا سيناريو فيلمها "رشيدة" **(2002)**[17].

الملاحظ على المخرجات الجزائريات القاطنات بالمهجر اشتهارهنّ بالأفلام الوثائقيّة على غرار **يمينة بن قيقي، و جميلة صحراوي** ،اللّتان أخرجتا في فرنسا عدداً من الأفلام الوثائقيّة الهامة، تعالجن فيها مواضيع الهجرة، وتجارب النّساء والشّباب في المهجر، ونفس المخرجتين مرتا بتجربة إخراج الأفلام الرّوائية الطّويلة من خلال فيلمي "**الأحد إن شاء الله** " **(2001)** ليمينة بن قيقي ،و "**بركات**" لجميلة صحراوي **(2006)** .

4. القضايا التي عالجتها السينما النسوية الجزائرية:

إن المتتبع للشأن السينمائي الجزائري وتطوره، خصوصا ما تعلق منه بالسينما النسوية يقف عند محاور كبرى اهتمت برصدها المخرجات الجزائريات وكانت مجالا لإبداعهن وحضورهن على مدار السنوات الماضية، وذلك من خلال التركيز على قضايا أساسية يمكن تحديدها في أربع قضايا كبرى: **الثورة، المرأة واهتماماتها، الهجرة ومشاكل الاندماج من خلال الجزائريين في فرنسا وطرح ملفات الهوية**، ورابعا **قضايا حياتية مختلفة –لا تعبر بالضرورة عن قضايا المرأة–**

ومن خلال هذه القضايا المطروحة من طرف المخرجات الجزائريات يمكن الوقوف عند عديد التجارب السينمائية، ومع أسماء برزت في محطات مختلفة، فمثلا الحديث عن قضايا الثورة يعيدنا للحديث عن المخرجة الجزائرية آسيا جبار 1936–2015، والتي نشرت العديد من الأعمال الروائية والشعرية والمسرحية وكان لها الحضور الخاص والمؤسس في السينما النسوية الجزائرية وذلك من خلال فيلمها "نوبة نساء جبل شنوة" الذي أخرجته العام **1978** للإذاعة والتلفزيون الجزائري[18]، يعتبر هذا الفيلم أول أعمالها السينمائية حيث لفت انتباه النقاد الأجانب والعرب بصورة كبيرة، يقوم النص على أحداث عديدة تتأرجح بين الحقيقة و الخيال: "وفيه تصور جبار جانبا من حرب التحرير الجزائرية ودور المرأة الجزائرية في هذه الحرب، وهو مزيج من الروائي والتسجيلي، ويسير في اتجاه تجريبي[19] ، جاء فيلم آسيا جبار محاكيا لبعد آخر في سينما الثورة ومتابعا مهتما لقضايا المرأة المغاربية بشكل عام مؤسسا لطرح سينمائي جديد يتجاوز السيطرة الذكورية في مجال العمل السينمائي ليس الجزائري فحسب بل العربي ككل[20]، كما قدمت جبار أيضا فيلمها الثاني "زردة أو أغاني النسيان" **(1982)**،

وهو عبارة عن توثيق لطبيعة الحياة في المغرب العربي في النصف الأول للقرن العشرين، و قد فاز عام **1982** بجائزة أفضل فيلم تاريخي لمهرجان برلين السينمائي. وشاركت آسيا جبار في السبعينيات في العديد من الإنتاجات السينمائية كمخرجة مساعدة، وكمخرجة عام **1973** في إسقاطها لمسرحية توم أينس عن مارلين مونرو بعنوان "العاهرة البيضاء والممثل الصغير". [21]

مخرجة أخرى قدمت أعمالا مهمة للسينما الجزائرية ولسينما الثورة، وهي **يمينة بشير شويخ** والتي تعتبر من المخرجات الجزائريات اللواتي حققن نجاحا في العمل السينمائي النسوي حيث بدأت مسيرتها سنة 1973 بالعمل في المؤسسة الوطنية للصناعة السينماتوغرافية ONCIC [22] ،ولسينما الثورة قدمت شويخ العام 2010 "حرب التحرير…على لسان المجاهدات" وهو فيلم وثائقي كشفت فيه عن وجه آخر في الثورة الجزائرية لم يتطرق إليه الكثير من المخرجين سواء في الأفلام السينمائية أو الأفلام الوثائقية، وأنتجت الفيلم المنتجة باية الهاشمي، حيث أكدت مخرجته أمينة شويخ أن الفكرة كانت في الأول حول " المحكوم عليهن بالإعدام"، لكنها تغيرت الفكرة إلى حيث حاولت رفقة رضا لغواطي الذي عمل كمساعد مخرج في الفيلم إيصال حياة المجاهدين والمجاهدات خاصة في فترة حرب التحرير إلى الجيل الجديد الذي ابتعد كثيرا عن التاريخ، حسب أمينة شويخ، في هذا الفيلم –تضيف– من أجل تواصل الجيل الحالي وجيل الشباب عامة مع تاريخه وماضيه الذي كان سببا في ما نحن عليه اليوم، الفيلم وثائقي يروي على مدار ساعة وأربعين دقيقة الحياة العامة التي عاشتها مجاهدات حرب التحرير الوطني رفقة الرجال في الجبل.[23] .

وإلى جانب أفلام تعالج قضايا الثورة أو ما يتعلق بها، طرحت السينما النسوية الجزائرية العديد من القضايا التي تصب في لب اهتمامات المرأة –وهذا أمر طبيعي باعتبارها تعبر عن لغة قريبة منها سواء معايشة للظاهرة أو ملاحظة لها– فجاءت أفلام المخرجات الجزائريات معالجة لظاهرة العنف التي انتشرت في المجتمع الجزائري وبرزت خاصة مع العشرية السوداء و تعتبر المخرجة بشير يمينة شويخ رائدة التجربة في هذا المجال، من

خلال فيلم **رشيدة** الذي أخرجته العام **2002**، وهو من أكثر الأفلام التي لاقت صدى كبيرا لدى الجمهور الجزائري، إذ يعتبر من الأفلام الأولى التي طرحت قضية الإرهاب في الجزائر بشكل جريء، حاولت فيه المخرجة تقديم صرخة النساء التي قالت أنها صرخة ضد الإرهاب وضد المعاناة والاضطهاد الكبيرين اللذين عاشتهما المرأة الجزائرية في هذه الفترة، يحكي الفيلم عن رشيدة المعلمة التي يوقفها ذات صباح مجموعة من الإرهابيين ويطلبون منها وضع قنبلة في مدرستها، وحين ترفض يطلق عليها أحدهم النار، و بعد نجاتها وخروجها من المستشفى تقرر مغادرة الجزائر العاصمة مع والدتها للاستقرار في مدينة داخلية بعيدة، وهناك تتسلل كاميرا المخرجة إلى أعماق المجتمع الجزائري، وظروف عيش السكان في تلك الفترة العصيبة، لتختتم الدراما بمجزرة دموية أخرى تحصد رجالاً ونساء وأطفالاً غداة عرس بالقرية، والذي تنجو منه رشيدة بأعجوبة، وفي الصباح تخرج ومحفظتها في يدها لاستقبال من نجا من تلاميذها، وتكتب على السبورة: درس اليوم[24].

و قد منحت **يمينة بشير شويخ** الساحة السينمائية الجزائرية دعما آخر ليس بأفلامها وصناعتها السينمائية فحسب، بل من خلال عائلتها، فزوجها هو المخرج محمد بشير شويخ، إضافة إلى ابنتها **ياسمين شويخ** وهي مخرجة وكاتبة سيناريو وسبق لها التمثيل في أفلام والدها سنة **1988** في أحد أشهر أفلامه ***la Citadelle*** اتجهت إلى الإخراج من خلال فيلم ***الباب la Porte*** سنة **2007** [25]،حيث تتعرض ياسمين شويخ في هذا الفيلم لبعض السلوكيات التي تنقص من عزيمة المرأة وتضيق عليها الخناق، متخذة مثالا على ذلك من خلال بطلتها **سامية** التي تمنع رمزيا من الاقتراب من ضوء النهار، بحيث أنه بمجرد اقترابها من النافذة يتم استدعائها من أحد أفراد عائلتها. الفيلم تناول بطريقة رمزية– تلعب كثيرا على المؤثرات البصرية بدلا من الخطاب المباشر –قضية حرية أو محاولة تحرر المرأة من قيودها الداخلية والخارجية، وهو نموذج من الأفلام التي يمكن تصنيفها ضمن الاتجاهات الجديدة في أفلام الشباب الجزائري، ذي الرؤى العصرية عن مجتمعاته[26].

ولسينما المرأة ومواضيعها قدمت **بلحاج فاطمة**، وهي ممثلة وناقدة وصحفية جزائرية مثلت العديد من الأفلام وحصدت العديد من الجوائز و اتجهت إلى الإخراج أيضا من خلال فيلم **مال وطني** والذي عرض سنة **2007**[27] ، تناولت فيه مخرجته كفاح المرأة اليومي وصراعها

لكسب لقمة العيش، في قصة أعادت عبرها مسرحية" **بيت برناردا ألبا** "إلى السينما، ويتعلق الأمر بأرملة **(الباتول)**، تعيش بالقصبة مع بناتها الخمس وقريب لها متخلف ذهنيا، وبسبب فقدانها لزوجها التجأت إلى العمل في إحدى أسواق الحي للاستجابة لمتطلبات أسرتها، حاول الفيلم إبراز شجاعة الأم في إعالة بناتها والاستجابة لحاجياتهم بالرغم من كل الأوضاع المزرية التي كن يعشنها، إلى أن جاء يوم اغتيال شرطي أمام عينيها، على يد إرهابيين اختلطوا مع عامة الناس، في الفيلم يغتال الشرطي ويموت الإرهابي، فتصدم الباتول بما رأت، لتعود من جديد للانغلاق على أسرتها فتغرق في البؤس والشقاء معهم، لكن يد الإرهاب تلاحقها فأمير الجماعة الإرهابية الذي كان مندسا بين الناس قرر معاقبتها لصرختها التحذيرية، وأي عقاب؟ إنه ذبحها بقسوة مع بناتها في الليل الدامس، ولا يفلت من الذبح سوى قريبهم **حسيسن** لأنه اختبأ في صندوق خشبي بغرفته [28]

ولأن التجارب النسوية برزت وفرضت نفسها على الساحة الجزائرية إنتاجا وإخراجا، لابد من الوقوف عند المنتجة والمخرجة الجزائرية" نادية شرابي "وهي أيضا باحثة وأكاديمية متحصلة على شهادة الدكتوراه من الدرجة الثالثة، حيث تناولت أطروحتها موضوع السينما الجزائرية، وكان ذلك سنة **1987** بجامعة **السوربون بباريس**، العام **1994** أطلقت مؤسستها الخاصة " **بروكوم أنترناسيونال** "للإنتاج السمعي البصري، وهي المؤسسة التي أنتجت عددا من الأفلام الوثائقية والروائية، وفي فيلمها الوثائقي القصير" **فاطمة العمارية** " تعود المخرجة إلى مدارج صباها في الأغواط، هذه المدينة الجنوبية التي تقول أنها مازالت تحمل منها كثيرا من الصور والألوان وأنغام المدائح الدينية منذ عهد الطفولة، وبكثير من الحميمية تُقدم حكاية فاطمة الفتاة الزنجية التي تنتمي للزاوية التيجانية بعين ماضي، ترصد الكاميرا بعض صور الحياة اليومية في منطقة محافظة دون إعطاء اهتمام كبير للتفاصيل، كل شيء مركز على هذه الزنجية المحافظة والتي تمتلك موهبة الغناء وتحلم بأن تصبح مغنية مشهورة، فيتنازعها صراع بين المحافظة والانفتاح وتحقيق الذات، بين رغبتها في خلع "القمبوز "وإصرارها على العودة إلى عين ماضي مهما ابتعدت عنها، تقول نادية شرابي عن هذا الفيلم، الذي حاز جائزة لجنة التحكيم عام 1996 م بمهرجان الفيلم الإفريقي بميلانو :

"أحب شخصية فاطمة العمارية لأنها سمحت لي بالتعبير عن كثير من المشاعر والأحاسيس، كنت أذهب إلى مدينة أمي: الأغواط في طفولتي ولطالما تمنيت أن أنجز فيلما عن ذلك المكان، وحين التقيت هذه المرأة أعطتني المفتاح لفعل ذلك، إنها بمثابة رأس الخيط"[29].

كما تألقت لعبيدي في فيلمها "ما وراء المرآة (***L'envers du miroir***). الذي تم إنتاجه سنة **2007** وحظي بتغطية واهتمام اعلامي ونقدي كبير حيث يتناول الفيلم قضية حساسة و هي الأمهات العازبات والأطفال المسعفين من خلال قصة الشابة "سلمى" التي تعرضت للاغتصاب من طرف زوج الأم وتطرد من البيت من طرف والدتها لتجوب الشوارع وتضطر إلى ترك طفلها في سيارة "كمال" الذي يقوم برعاية الطفل والبحث عن سلمى. و خلال هذه الرحلة يعكس لنا العمل مجموعة من الرسائل والظواهر التي يعيشها المجتمع الجزائري، مثل مأساة الأطفال المشردين وفقر العائلات الجزائرية. القصة بسيطة حيث ابتعدت السينما لأول مرة منذ العشرية السوداء عن أفلام الإرهاب والسياسة إلى معالجة بعض ما أفرزته الأزمة، التي تتسبب بأزمات ومشاكل المجتمع العميق في الجزائر.

مخرجات جزائريات أخريات عشن خارج الجزائر، لكن اهتمامهن بقي جزائريا يلاحظ ويتابع باهتمام واستطعن أن يقدمن تجارب نسوية رائدة في مجال عملهن وهنا الحديث عن المخرجة الجزائرية المغتربة "جميلة صحراوي" المولودة في الجزائر، والمهاجرة إلى فرنسا منذ سنة **1975**،و المتحصّلة على شهادة في المونتاج والإخراج ،بعد دبلومها الأوّل في الآداب، اشتهرت بعدد من الأفلام الوثائقية من بينها ***Avoir 2000 ans dans les Aurès*** (1990) و ***Prénom Marianne*** **(1992)**[30]، كما اشتهرت من خلال فيلمها الرّوائي الطّويل الأوّل بركات **(2006)** ، وهو الفيلم الذّي تعوّد من خلاله إلى سنوات التّسعينات في الجزائر، أو ما يعرف بالعشريّة السّوداء ،التّي ميّزها العنف السّياسي و الإرهاب، وتروي تفاصيل الفيلم قصّة امرأتين من جيلين مختلفين ،تجمع بينهما علاقة صداقة ،تضطرّ إحداهما وهي المرأة الشّابة التي اعتقل الإرهابيّون زوجها إلى المغامرة بحثاً عنه، فترافقها صديقتها الممرّضة، وهي المرأة العجوز التّي سبق لها و أن عملت في صفوف جبهة

التّحرير الوطني، ما جعلها تحفظ جيّدا تضاريس الجبال و الاماكن التي يمكن أن يختبئ فيها الإرهابيون، و طوال الرّحلة الّتي تعيشها الصّديقتين ،تتعرّض كلتاهما لمواقف عصيبة ومحرجة تجعلهما تتخاصمان ،ثمّ تتصالحان ،حتّى ينتهي الفيلم بالعثور على الزوج مختطفاً من قبل جار الطّبيبة[31].

فضلا عن الأعمال التي قدمتها جميلة صحراوي للسينما النسوية الجزائرية ظهر اسم آخر اهتم خاصة قضايا الهجرة ومشكلات الاندماج والهوية، فكانت يمينة بن قيقي (1957-) المولودة بليل الفرنسية لأبوين جزائريين منخرطين في الحركة الوطنية أيام حرب التّحرير، و تعتبر بن قيقي المخرجة السّينمائية الجزائرية الأولى القادمة من المهجر، بدأت مشوارها كمساعدة في الإخراج ،قبل أن تؤسّس مع رشيد بوشارب مؤسّسة للإنتاج تحت مسمّى ***Bandits Productions*** ،و قد اتّجهت منذ سنة ***1994*** لإخراج الأفلام الوثائقية ،خاصّة تلك التّي تناقش الهجرة المغاربية إلى فرنسا ،و الهويّة الإسلاميّة، و قد لاقى الفيلم الوثائقي الذي صوّرته سنة **1998**،و تمّ عرضه على قناة ***Canal+*** (***Mémoires d'immigrées***) نجاحاً و تأثيراً بالغاً فور عرضه ، حيث تعرّضت فيه لشهادات حيّة لمواطنين من المغرب العربية حول ظروف الهجرة، والهويّة، و التّمييز العنصري[32].و فضلاً عن أفلام وثائقية أخرى، أخرجت بن قيقي مدفوعة بنزعتها نحو مواضيع الهجرة فيلمها الرّوائي ***Inchaa– Allah Dimanche*** سنة (***2001***) ،و يروي قصّة الزّوجة "زوينة"، التّي تركب الباخرة رفقة أبنائها الثّلاثة باتّجاه مرسيليا ،للّحاق بزوجها الذّي دفعته ظروف المعيشة إلى الاغتراب ،و رغم اعتقادها بأنّ ظروفها المعيشيّة ستغيّر بعد هجرتها و لحاقها بزوجها ،إلاّ أنّ الأمور تزداد تعقيداً ،بعد استمرار تدخّل والدة زوجها في حياتها ،و جفاء هذا الأخير و حشوته اللّذان يدفعان به إلى التّفكير في هجرته ،و اللّجوء إلى رجل آخر ،الفيلم يروي أيضا تفاصيل اندماج زوينة و أولادها مع المجتمع الجديد الذّي هاجروا إليه وانتقلوا من خلاله إلى عالم غير العالم الذّي كانوا يعيشون فيه ،لينتهي الفيلم بلقطة معبّرة للزّوج و هو ينتظر زوجته ،و يخبر أمها أنّها هي من سيصطحب الأولاد إلى المدرسة في الغد[33].لقد لاقى هذا الفيلم نجاحاً ملحوظاً ،فقد صنّفه النّقاد من كل الجزائر و فرنسا ضمن أجود

الإنتاجات السّينمائية الجزائريّة ،حيث شهد أثناء عرضه إقبالاً كبيراً في كل من فرنسا و الجزائر ،و طلبت عدّة قاعات في الجزائر إعادة عرضه[34].

من خلال استعراضنا لبعض التجارب السينمائية النسوية الجزائرية والقضايا التي حظيت بمعالجة سينمائية بعيون مخرجات جزائريات ،تجدر الاشارة الى أنه توجد تجارب أخرى يمكن ايضا التنويه اليها ،وهذا ما استطاع الباحث والكاتب والصحفي **عاشور شرفي** من استحضاره من خلال مؤلفه *القيم* ***Dictionnaire du cinéma Algérien et des filmes étrangers sur l'Algérie, Casbah Ed, Alger, 2013*** ، أين نجد فيه اضافة –إلى التجارب التي قدمت خلال هذا العرض –رصد للعديد من التجارب السينمائية النسوية مع بعض السير الذاتية لهن على غرار:

- ✓ *Mai 1945 :film documentaire de Meriem Hamidate : Algérie 2007*
- ✓ *9/3 Mémoire d'un Territoire : documentaire de Yamina Benguigi :France-Algérie 2008*
- ✓ *Aicha :long métrage diction de Yamina Benguigi France-Algérie 2007*
- ✓ *A la recherche du culture berbère : documentaire de Nadia Makhlouf : Algérie 2003*
- ✓ *A ma mère :métrage documentaire de Djamila Sfaxsi : France-Algérie 2003*
- ✓ *A quoi Rêvent les Fennecs : documentaire Sara Tikanounine Algérie 2009*
- ✓ *Algérie :a la Réconciliation long métrage documentaire de f Fouzia Fekiri France-Algérie 2007*
- ✓ *Algérie , la vie toujours Lezaer, tudert daymem :moyenne métrage de Djamila Sahro France-Algérie 2001*
- ✓ *Algérie :la vie quand même moyenne métrage documentaire de Djamila Sahro France-Algérie 1998*
- ✓ *Algérie, Touret et Détour : long documentaire de Leila Mourouche France-Algérie 2007*

5. اشكاليات وتحديات الإنتاج السينمائي النسوي في الجزائر :

الحديث عن الاشكاليات التي تتخبط فيها السينما النسوية الجزائرية لن يبتعد عن الحديث عن المشاكل التي يعانيها القطاع السينمائي الجزائري بشكل عام بحيث يمكن

الوقوف عند بعض الاشكاليات الأساسية التي تعتبر عائقا أساسيا أمام الفن السابع في الجزائر بشكل عام والعمل النسوي بشكل خاص ومن بينها :

- ✓ **مشكلة التوزيع والعرض:** وذلك بالنظر الى الوضعية المزرية التي تعرفها دور السينما ،واقتصار العرض السينمائي فقط على المهرجانات وخاصة مهرجان وهران للفيلم العربي الذي كانت بداياته العام 2007، وبعض دور السينما وفي ولايات معينة خاصة الكبرى منها تحديدا على غرار العاصمة و وهران حيث أصبح المشاهد يلجأ الى تحميل الأعمال السينمائية عبر شبكة الانترنت أو الحصول عليها من خلال اقتناء أقراص DVD، وعليه العديد من الانتاجات السينمائية لا تصل الى المشاهد ومنه فهو لا يتعرف أصلا على الأعمال السينمائية سواء كانت نسوية أو ذكورية كما اعتادها سابقا *[35].
- ✓ **ضعف التكوين في مهن السمعي البصري** :على غرار التركيب، التصوير، الصوت، كتابة السيناريو... مما أثر على صناعة السينما في الجزائر، ضف إلى ذلك أن الذهنية الاجتماعية مازالت تراها مهنا مقصورة على الجانب الرجالي في حين أن المرأة اليوم أصبحت عنصرا بارزا في كافة مراحل الصناعة السينمائية ووصولا الى دفة القيادة: الاخراج. مما يجبر أغلب العاملين في هذا المجال إلى البحث عن التكوين خارج الجزائر .

مشكلات التمويل والإنتاج: مما أدى إلى اللجوء إلى الانتاج المشترك خاصة أن أغلب المخرجين الجزائريين يعيشون في الخارج لا سيما في فرنسا، حيث بينت الأفلام التي عرضناها سابقا أن سياسة الإنتاج المشترك الذي لجأت اليه المخرجات الجزائريات خاصة مع الشريك الفرنسي، قد خلقت كثيرا من الإشكاليات من خلال فرض الشريك الأجنبي لشروطه على الشريك الجزائري، في مقابل تسهيل توزيع الفيلم داخل وخارج الجزائر، ولعل

الضجة التي أحدثها فيلم الوهراني خلال الآونة الأخيرة وتشويهه لصورة المجاهدين أحد الأمور السلبية التي كشف عنها الإنتاج المشترك *[36]

6. الخاتمة:

فرضت التجربة النسوية واقعا جديدا باعتبارها سينما ركزت في أغلب قضاياها خاصة الجديدة على المشاكل التي تعاني منها المرأة في الجزائر، لكنها في المقابل تكشف عن تحديات في الأفق ومجالات واسعة أمام المخرجات الجزائريات للعمل عليها وتقديمها في شكل لوحات ابداعية للمتلقي الجزائري بشكل خاص أو تسويقها الى جمهور خارجي بشكل عام. وفي ذلك صرح الناقد السينمائي السوري "محمد عبيدو" أنّ ":تزايد اهتمام المرأة الجزائرية بهذا المجال وجرأتها مكنها من طرح مواضيع خاصة بها، لا يمكن لأحد مكانها أن يعبر عنها مرجعا هذا التطور لانتشار الوعي ومساهمة وسائل الاتصال والتكنولوجيا الحديثة في تطوير مجال الإبداع والابتكار وتدعيم هذه التجارب التي بدأت – حسبه – تأخذ مكانها في العديد من المهرجانات"،[37] وأضحت تعالج وتغطي قضايا مختلفة ليست حكرا لسينما المرأة فقط وان كانت خصصت جزءا كبيرا من أفلامها للمرأة وقضاياها، وتشير المخرجة "نادية لعبيدي"، عندما سألت هل يشغل موضوع المرأة الحيز الأكبر من اهتماماتها كمخرجة إلى أنها ترفض ذلك رفضا قاطعا، قائلة" :كوني امرأة لا يعني بالضرورة أن أكون مخرجة أفلام عن المرأة " وتعلن" :لا أقبل أن أوضع في قالب محدد أو أُصّنف في خانة معينة، أنا مبدعة والمبدع الحقيقي لا يرتبط بلون ولا تقيده حدود.." ثم تضيف":قضيتي هي الإنسان ذكرا كان أو أنثى أو كائنا غريبا[38].

5. قائمة المراجع:

1 بغداد أحمد بلية: فضاءات السّينما الجزائرية، منشورات ليجوند ،الجزائر،2011 ،ص20.

2 نجمة زراري: الطّرح الفيلمي لقضية المرأة في السّينما الجزائرية، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، كلية العلوم السياسية والاعلام ،جامعة الجزائر ،2010-2011، ص،ص112،111.

3 - Hayward Susan, Cinéma studies, The key concepts, 2nd ED, Taylor and Francis elibrary, Newyork, 2001, P :112.
4
Evans marian, Background notes on women writers and directors participation in Autralian feature film, from a new Zealand-5 Perspective, dysponible on : www.wiftorg/MarianEvans/2008.pdf. consulte le: 16.02.2015, a: 10 :00 du matin
6- Ibid
. 7- Brahimi Denis, Cinéma d'Afrique francophone et du Maghreb, ED Nathan, Paris, 1997, P :68
8 -Cloarec Nicole, Filmer Les marges, filmer en marge,Portraits de cinéastes femmes en Grandes Britagne Contemporein,Revue ATALA,n13 Royaume unie,2010 ;P-P 123-124.
.9- Brahimi Denis ; op cit , p 68.
. 10 - ibid,p 69
. 11 - Harrow Kennethw, African Cinéma, Postcolonial and Feminist Reading, Africa world Press, 1st Publishing, 1999, p :10.
.12 – ibid,p 10
13 - Boussenain Katia (ed), Socio anthropologie de l'image au Maghreb (Audio-visuel et création cinématographique), institut de recherche sur le Maghreb contemporain, Tunis, 2009-2010, P :266.
.14 - Boussenain Katia, Op.cit, P :268.
. 15 - Jbid, P :268
16 - Jbid, P :268
17– نايلي نفيسة، صورة المرأة في السّينما المغاربية، أطروحة دكتوراه، كلية الإعلام ،جامعة الجزائر3 ،2013–2014 ،ص192.
18 Cheurfi Achour, Dictionnaire du cinéma Algérien et des filmes étrangers sur l'Algérie, Casbah Ed, Alger, 2013, P :481
19 – كريمة الابراهيمي ،آسيا جبار :سردية القصة والفيلم ،نوبة نساء جبل شنوة نموذجا ،مجلة عود الند ،العدد 77 ،السنة 7 ،متاحة على الموقع الالكتروني
http://www.oudnad.net/spip.php?article560
a22 :14 2015a20/02/
20 Brahimi Denis, Op.cit, P 26

21- سمير عواد ، في طريقها إلى فرانكفورت آسيا جبار صاحبة «الحب والفنتازيا» و«أغاني النسيان»،جريدة الوسيط متاح على الموقع الالكتروني

http://www.alwasatnews.com/mobile/news-412820.html

22 Cheurfi Achour, Dictionnaire du cinéma Algérien et des filmes étrangers sur l'Algérie, op cit, P 110

23 http://www.djazairnews.info/component/content/article/63-2009-06-19-21-11-29/18661-2010-08-20-17-40-30.html

24 نجمة زراري ،مرجع سبق ذكره ،ص،ص 132،133

25 Cheurfi Achour, Dictionnaire du cinéma Algérien et des filmes étrangers sur l'Algérie p 202

26 نجمة زراري ،مرجع سبق ذكره ،ص134

27 Cheurfi Achour, Dictionnaire du cinéma Algérien et des filmes étrangers sur l'Algérie p 133

28نجمة زراري ،مرجع سبق ذكره ،ص133

29- نجمة زراري ،مرجع سبق ذكره ،ص،ص 137،138

30 - Cheurfi Achour, L'Encyclopédie Maghrébine, Casbah Ed, Alger, 2007, P :946. 30

31 - Cheurfi Achour, Dictionnaire du Cinéma Algérien, OP.cit, PP :116-117.

32 -O P cit :142.

33 - Ibid P.P :354-355.

- 34 إنتاج جيد بشهادة المتخصّصين "الأحد إن شاء الله" فيلم يصنع الحدث و يحصد الجوائز ،متوفر على الموقع: www.albayan.ae/five-sense-arts/2003

صرحت وزيرة الثقافة نادية لعبيدي لجريدة الشروق اليومي الصادرة يوم21 فيفري 2015، أن الجزائر تمتلك 72 قاعة سينما ، منها 25 صالحة للعرض والباقي قيد الترميم ،وما سنقوم به بالنسبة للقاعات الصالحة للعرض سيقوم بتزويدها بتجهيزات رقمية ،لأن كل الأفلام التي نستقبلها من الخارج وحتى أفلام جزائرية هي على شكل دي سي بي أي بحزمة السينما الرقمية ولم تعد العمل بتقنية 35 ملم ويمكن متابعة الموضوع عبر موقع الجريدة على الانترنت

http://www.echoroukonline.com/ara/articles/223155.html - 35

http://www.echoroukonline.com/ara/articles/223155.html 36

37 http://www.altahrironline.com/ara/?p=6121

في مداخلة قدمها الناقد السينمائي السوري محمد عبيدو حول موضوع "تجربة الإخراج السينمائي النسوي بالجزائر"

نجمة زراري ،مرجع سبق ذكره ،ص139 [38] -